فكرة الكونية والعالمية ودعوتها لقيم التسامح الفكر الرواقي أنموذجا

The idea of universality and its advocacy of tolerance values stoic thought as a model

بلحنافي جوهر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر

تاريخ الاستلام: 2020/10/02 تاريخ القبول: 2020/10/16 تاريخ النشر: 2020/02/30

الملخص:

تميز الفكر الهيلنستي بدعوته للكونية cosmopolitisme أوما يسمى بالمواطنة العالمية التي نادت بها الرواقية "عالمية الطبيعة البشرية، ووحدة الجنس البشري ،بما أن العقل هو خاصية إنسانية، وفي هذا خالفت الفكر اليوناني بدعوتها لخضوع لسلطة قانون المدينة الكونية)كوزموبوليس cosmo polis (على خلاف قانون المدينة polis) بوليس) الذي يعترف بعالمية الحق الطبيعي لكل إنسان إلا أن العالمية عرفت تحولات فكرية نتيجة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وسياسية ،إذ تحولت من أساس أخلاقي إلى أساس مادي وإيديولوجي من العالمية إلى العولمة

الكلمات المفتاحية : الكونية. العالمية .التسامح .المواطنة العالمية. المساواة ،

Abstract :

Hellenistic thought was distinguished by its call to cosmopolitism or the so-called global citizenship that the stoics called for ,the universality of human nature and the unity of the human race, since reason is a human characteristic, and in this it contradicted Greek thought by calling for submission to the rule of Cosmo polis in contrast to the law of the city,(polis) which recognizes the universality of the natural right of every human being ,but the call to universality has undergone intellectual transformations as a result of social ,economic and political changers ,as it has shifted from an ethical basis to a material and ideological basis from globalism to globalization

Keywords: Cosmic; globalism; tolerance; citizenship; equality;

أستاذة محاضرة(أ)، djouher.belhanafi@univ-mascara.dz،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر

المقدمة

تعد الفلسفة الرواقية إحدى الفلسفات العصر الهيلستني التي ضربت مثلا رائعا في تفاعل فكرها الفلسفي مع الواقع الفعلي للحياة الإنسانية، وهذا بتعايشهما مع الظروف والأحداث والمتغيرات الجديدة التي لم تكن معهودة من قبل، حيث انتهجت نهجا إنسانيا واضحا. تحدد ذلك جوهرها الذي تجلى في نظرية الدولة العالمية وما تتضمنه من أفكار سياسية وأهداف أخلاقية بحيث حاول الرواقيون القضاء على تلك العصبية، فاحلوا "الإنسان" محل "المواطن" اعتبروا الإنسانية أسرة واحدة أعضاؤها أفراد البشر عامة أيا كانت نحلهم و ألسنتهم و بلادهم. **كيف نشأ مفهوم الكونية في حضن الفلسفة؟**

الأساس التاريخي والفلسفي لنشأةمفهوم الكونية والعالمية

ظهرت هذه النزعة الكونية مع زينون حيث كان يتطلع إلى إقامة مجتمع كبير متماسك قادر على أن يحل محل الدول الصغيرة المتطاحنة ، فيما بينها حيث تتصارع الطبقات داخل كل واحدة منها لقد أراد زينون وأتباعه أن يقيم مجتمعا جديد ا مبني على أساس المساواة بين الناس أجمعين بحيث "لا يكون داخله أغنياء أو فقراء أو سادة أحرار أو عبيد. وفي ظل الدعوة إلى الدولة العالمية ميز الرواقيون بين نوعين من القانون، بحيث يرون أن الإنسان يعتقد بقانونين :الأول هو قانون دولة المدينة ، أما الثاني فهو قانون الدولة العالمية، فهو قانون العقل، فهو قادر أن يكون معيار تلتزم به شرائع المدن والدول المحلية وأن يعبر عن قدر متزايد من الوحدة الكامنة خلف كثرة الشرائع والعادات والتقاليد المختلفة، فالدولة التي أوجب الرواقيون على كل مواطن أن يشارك في إدارة شؤونها، والتي لا تكون كذلك ،إلا عندما تقوم على مبدأ المحبة حيث يكون الأساس أخلاقي، هو الذي يجسد في نظرهم العدالة ويضمن حق الإنسان . وبمناداة الرواقية بعالمية الطبيعة البشرية، وأخوة الإنسان ، خالفت الفكر اليوناني من خلال "الدعوة لسلطة قانون المدينة الكونية (كوزموبوليس) cosmo polis على خلاف قانون المدينة (polis بوليس) فقانون المدينة الكونية قانونا عقلانيا ،وبالتالي وهو يمتاز بالسمو الأخلاقي على القوانين المحلية التقليدية التي تحكم بعض الدول"ذلك لوجود قانون طبيعي عالمي.

تقوم هذه الوحدة العالمية على رابطة أخلاقية تربط بين الآلهة و بني الإنسان، بحيث يعتقد أهل الرواق أن روح الإنسان لا تختلف في جوهرها عن عقل الكون.وان الآلهة والناس ليسوا في الحقيقة إلا جزءا من هذا العقل الكوني. "فالكون l'univers هو المدينة الكبرى، والمدينة العالمية*Cosmopolisيتعايش فيها البشر والآلهة، ويرتبط فيها كل واحد بالآخر،إذ يكون حكمها هو القانون الإلهي الوحيد الذي تتغذى منه

كل القوانين البشرية ،إنه اللوغوس logos أو العقل الكلي الذي يعتبر كل فرد عضوا أو فرعا منه"[1]وعليه فالقول بأخوة و المواطنة العالمية Cosmopolitanisme ،يعني بوحدة النفس الإنسانية فالإنسان مواطن للعالم أجمع ، والكرة الأرضية بيتا له و وهذه الوحدة والأخوة معنوية هي التي تجمع بين البشر جميعا أساسها الإتحاد في الجوهر. مما يترتب عليها القول بان النواميس العامة للعقل الإلهي واحدة بالنسبة إلى البشر جميعا،أي "كل الناس هم مواطنون في جمهورية زيوس يجب أن يعيشوا متحدين تحت قانون واحد مشترك مثل القطيع الذي يسير تحت إمرة راعي واحد"[2] .فالعقل الكوني هو الذي يوحد بين البشر، بحيث يتحدوا تحت لواء قانون واحد يحقق لهم المساواة والأخوة .

ولقد انتشرت العولمة في كل ما يتصل من تفكير في العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وما هو مؤكد أن التوجه الحضاري الإنساني في العلاقات الدولية الحديثة والمعاصرة كان يعرف قبل ظهور مفهوم العولمة بمسميات أخرى مثل الدولية، التدويل الإمبريالية، العالمية، الكونية، نظام الاستعمار المباشر القديم، نظام الاستعمار غير المباشر الجديد، وكل هذا سيشكل ظاهرة يستدل منها على مفهوم علاقات بين الحكومات أو بين القوميات، أو متعددة الأطراف، وهذه العلاقات ستكون نتائجها بدون شك للدول الأكثر نفوذاً وتأثيراً في نظام العولمة هذا، ومهما تكن العلاقات الجارية في مسرح العلاقات الدولية المعاصرة، والمفاهيم التي تحاول الإطاحة بها فهي مصطلحات تفسر نفس الظاهرة، وتمثل نزوع الغرب نحو الشمولية والاستبداد العالمي أو الدولي، والقاسم المشترك إلى هذا النزوع هو السوق الحرة، وما المصطلحات التي تسوقها الأوساط الأكاديمية والإعلامية الغربية سوى محض تمويه وخداع وتضليل وأدلجة وتوظيف دعائي سياسي تكتيكي للمفهوم، وستبقى العولمة مفهوماً سوسيولوجياً له أهميته في علم الاجتماع العالمي، أو علم العولمة، الذي نرغب فيه أن يكون مستقلاً عن أي توظيف أيديولوجي، وهذا ما نبغي اختياره.

العالمية واللوغوس منبعا للحق و التسامح

---

[1] جان جاك شوفاليه، تاريخ الفكر السياسي، تر محمد عرب صاصبلا ،المؤسسة الجامعية للدراسة والنشروالتوزيع بيروت ط2 ،1933ص192

. * Cosmopolis كلمة يونانية غالبا ماتترجم إلى مواطن العالم كما تترجم إلى مواطن الكون وهذا التعبير يشمل جميع أشكال الحياة بما فيها الإلهة وليس البشر فقط.

[2] Jean Brun – le stoïcisme – Editions delta. France 1994 p113

.

تقوم هذه الوحدة العالمية على رابطة أخلاقية تربط بين الآلهة و بني الإنسان، بحيث يعتقد أهل الرواق أن روح الإنسان لا تختلف في جوهرها عن عقل الكون.وان الآلهة والناس ليسوا في الحقيقة إلا جزءا من هذا العقل الكوني. "فالكون l'univers هو المدينة الكبرى، والمدينة العالمية*Cosmopolisيتعايش فيها البشر والآلهة، ويرتبط فيها كل واحد بالآخر،إذ يكون حكمها هو القانون الإلهي الوحيد الذي تتغذى منه كل القوانين البشرية ،إنه اللوغوس logos أو العقل الكلي الذي يعتبر كل فرد عضواأوفرعامنه"[3]وعليه فالقول بأخوة و المواطنة العالمية Cosmopolitanisme ،يعني بوحدة النفس الإنسانية فالإنسان مواطن للعالم أجمع ، والكرة الأرضية بيتا له و وهذه الوحدة والأخوة معنوية هي التي تجمع بين البشر جميعا أساسها الإتحاد في الجوهر. مما يترتب عليها القول بان النواميس العامة للعقل الإلهي واحدة بالنسبة إلى البشر جميعا،أي "كل الناس هم مواطنون في جمهورية زيوس يجب أن يعيشوا متحدين تحت قانون واحد مشترك مثل القطيع الذي يسير تحت إمرة راعي واحد"[4] .فالعقل الكوني هو الذي يوحد بين البشر، بحيث يتحدوا تحت لواء قانون واحد يحقق لهم المساواة والأخوة .

وقد أشار بوتارك plutarique 46ق م -125"إن هذه الجمهورية التي تستحق الإعجاب كثيرا ... يكمن ذلك في أن الناس يجب ألا يتفرقوا في مدن وشعوب، لكل منها قوانينها الخاصة، لأن كل الناس مواطنون، ولأن لهم حياة واحدة ونظام واحد للأشياء ،كما هو حال القطيع الموحد في ظل قاعدة قانون مشترك"[5] فالدولة المثالية عند الرواقيين لا تعرف حدودا، ولا فروقا بل هي مجتمع عقلي يظم البشر أجمعين فهي إمبراطورية مثالية واسعة الأطراف، " فالعالم هو في نظرهم جمهورية أو وطن تشكل بفعل القانون واحد لجميع الأفراد ، وحدد طبيعة الروابط التي تجمعهم "[6] والرواقيون لم يريدوا لهذه الوحدة أن تكون قوة سياسية ذات كيان مادي بل أرادوها جامعة روحية. ، فالمدينة الفاضلة أو المدينة الإلهية في نظر هم إنما هي مجتمع تحل فيه الوحدة العقلية محل الوحدة السياسية،و تقوم فيه المحبة بين الناس مقام القانون.و يكون اجتماع الأفراد مطابق للطبيعة كأسرة واحدة بامتداد التعاطف إلى خارج نطاقها حيث لا يقف هذا التعاطف عند حد، ولا أن يتفرق الناس مدنا وشعوبا ولكل منها عصبية وقانون فإنهم

---

[3] جان جاك شوفاليه، تاريخ الفكر السياسي، تر محمد عرب صاصبلا ،المؤسسة الجامعية للدراسة والنشروالتوزيع بيروت ط2 ،1933ص192

. * Cosmopolisكلمة يونانية غالبا ماتترجم إلى مواطن العالم كما تترجم إلى مواطن الكون وهذا التعبير يشمل جميع أشكال الحياة بما فيها الإلهة وليس البشر فقط.

[4] Jean Brun – le stoïcisme – Editions delta. France 1994 p113

[5] المرجع نفسه، ص122.

[6] -Robert Muller ; Les Stoïciens, la liberté et l'ordre du monde . Librairie philosophique j Vrin paris 2006p250-.

جميعا إخوة وليس بينهم أسياد وعبيد ، و هم جميعا مواطنون من حيث أنهم متفقون في الماهية ، وموجودون في الطبيعة واحدة هي قانونهم ، فوطن الحكيم الدنيا بأسرها.

وعليه أصبحت فكرة العالمية أساسا لتأكيد على بعض المبادئ التي استحدثت معها طرح تصورات جديدة مخالفة لما كان في سابق وهذا نتيجة الدعوة إلى الأخوة و المساواة لجميع البشر ا والتأكيد على الكرامة الإنسانية والاعتراف بحق الفرد في الحياة وبحقوقه الطبيعية مع شيشرون و غيره "فالعالمية لم تكن محدودة بأي تقاليد وطنية أو محلية إنها حضارة تتوجه قانونيا لكل البشر، لأنها تؤمن بتماثل العقل المشترك لدى الجميع"[7]. فقد استطاعت هذه الفكرة أن تؤثر على القانون الروماني،وتكون مصدر الهام عند مشرعيهم ، كما استطاعت أن تِؤثر في الدعوة المسيحية وتوجهها على أساس المحبة والرحمة، وان توحي إلى " جان جاك روسو و فلاسفة القرن الثامن عشر في فرنسا نظراتهم عن إخاء بني الإنسان، وحقوقهم الطبيعية في الحرية و المساواة."[8] "وأن تعبد الطريق للأخلاق الاجتماعية مستوحاة من محبة للإنسانية"[9]. لقد رأى أن العالم كله أمة واحدة، وأنه ليس هناك فرق بين فرد وآخر، وهذه الرابطة التي تجمع بين الجنس البشري ،هي التي تربط بينه وبين الآلهة وهي أساس هذه الوحدة أو العالمية فزيوس مفارقا للعالم كما هو عند أفلاطون وأرسطو، بل الكون كله مدينة زيوس وسكنه، هو الذي ينظم العالم ويديره بفعل قانون الطبيعة (القدر). في العالم مدينة مواطنوها الآلهة والبشر، وهناك وحدة شاملة تربط أجزاء الوجود برباط وثيق وقد أكد زينون على ذلك بقوله "إن الإله سار في العالم المادي ، إنه رئيس الأعلى لحكومة الكون، وفي كل جزء من أجزاء الكون قبس من النار الإلهية حتى نحن فينا جزء من الإله هو النفس ."[10] فالله متواجد في الطبيعة لأنها جزء لا يتجزأ من الذات الإلهية و العقل يمثل الجزء الإلهي في الإنسان ،فالعقل قبس من العقل الإلهي وجمال الطبيعة يدل على العناية الإلهية والكون يحكم بقانون يدل قدسيته .

لقد اعتبر الرواقيون أنه " يوجد بين الآلهة والبشر علاقة أبوة، مما يجعل الكون أو الوجود بما فيه من الآلهة والبشر كيان حي واحد، وكل الموجودات داخله مرتبطة ببعضها البعض، بروابط وثيقة لأنها جميعا من أب واحد وهو الإله".[11]

---

[7] Emile Bréhier – les stoïciens – Editions Gallimard-nrf. De le pléiade 1962 – Paris p57

[8] – أمين عثمان، الفلسفة الرواقية ،دار النهضة القاهرة ط2،1959 ص 224.

[9] – فرانسوا غريغوار، المذاهب الأخلاقية الكبـــرى ،ترجمة قتيبة معروفي ،منشروات عويدات ط3،1984 ص 92.

[10] محمود مراد، دراسات في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء للدنيا والطباعة والنشر والإسكندرية، ط4، 2001، ص329.

[11]- Robert Muller, Les stoïciens, p250 .

لقد اعتقدت الرواقية بأخوة جميع الأفراد، ذلك أن أجسامهم واحدة وهي قبس من النار الإلهية، ولها أب واحد (الإله)، لذا فجميع ينتمي إلى وطن واحد هو المدينة الكونية ويدين بالولاء لقانون واحد هو قانون هذه المدينة. وعلى هذا فجميع البشر سواسية ،ولا يوجد فرق طبيعي بينهم إلا في القدرات والمواهب التي تجعل أدوارهم وواجباتهم متفاوتة ،وطبقاتهم متمايزة وهذه الأدوار محددة من قبل الإرادة الإلهية والقدر وهي التي تجعل البشر يخضعون لقانون واحد مسيطر ،وهو القانون الحاكم والموجه لكل ما يجري في الكون.

"فدعوة الرواقية إلى الدولة العالمية ،والمواطن العالمي مسألة طبيعية في ظل الاعتقاد بخضوع الجميع سواء كانوا البشر أو كائنات أخرى للقانون الواحد"[12] فقد رفضوا الفوارق الاجتماعية المصطنعة بين البشر ونادوا بالمساواة ، ونبذ العبودية قد اعتبروا كالكلبين بأن هذه الفوارق لا دلالة لها ولا معنى في ظل الدولة العالمية فاليونانيون، والبرابرة والأشراف ،والعامة والأرقاء والأمراء والأغنياء والفقراء كلهم سواء يخضعون لنفس القانون، ونفس القدر والفرق الوحيد بينهم هو الفرق بين العاقل والأحمق، وبين الرجل الذي يمكن أن يهديه الإله إلى الصواب وبين الرجل الذي يجب أن يدفع إلى ذلك قسرا ،وقد نبذ كريسبوس chrysipusse (من الكليكة 281-258) العبودية بقوله : "لا يوجد رجل عبدا بالطبيعة."[13] وخالف بذلك أرسطو وموقفه من الرق تميزه بين المواطن وغير المواطن اليوناني من خلال مفهوم المواطنة العالمية، بما أن جميع البشر قادرين على التفكير العقلاني، فلقد أكد الرواقيون على ضرورة تجانس جميع أفراد الجنس البشر بحيث تختفي الخلافات الثقافية والاعتقادات الاجتماعية ،إذ تصبح سطحية.

من خلال إيمان الرواقية بوحدة الوجود، وبوحدة الإله المدبر له آمنت بوحدة الإنسانية جمعاء رغم اختلاف البشر في الشكل ،و اللغات والأعراف ،لاشتراكهم في امتلاك العقل وانتمائهم إلى أب واحد واشتراكهم في العقل وهو الذي يجعلهم مؤهلين لإقامة المجتمع السياسي للمدينة العالمية، فهم من بين جميع الموجودات أعدوا للحياة الاجتماعية وهي ضرورية لهم "أنهم الوحيدون الذين وهبوا العقل وهم أبناء الإله ومن ثم هم إخوة وامتلاك البشر للعقل يجعلهم حيوانات اجتماعية بالطبيعة ،إذ يدفعهم هذا العقل إلى الاتحاد معا والعيش في مجتمعات مشتركة."[14]

لقد كانت هذه النزعة الكونية التي ظهرت مع زينون تتطلع إلى إقامة مجتمع كبير متماسك قادر على أن يحل محل الدول الصغيرة المتطاحنة ، فيما بينها حيث تتصارع الطبقات داخل كل واحدة منها لقد

---

[12] مصطفى النشار – تطور الفلسفة السياسية من صولون إلى ابن خلدون،الدار المصرية السعودية ،القاهرة د ط 2005، ص102.

[13] المرجع نفسه، ص103.

[14] محمود مراد، دراسات في الفلسفة اليونانية، ، ص332.

أراد زينون وأتباعه أن يقيم مجتمعا جديد ا مبني على أساس المساواة بين الناس أجمعين بحيث "لا يكون داخله أغنياء أو فقراء أو سادة أحرار أو عبيد كما تمنوا أن يكون هذا المجتمع متكونا من الحكماء الفضلاء حيث يحكم الفلاسفة بالعدل ،وكأنهم بذلك يحلمون بالدولة التي كانت سائدة قبل الوجود"[15]

وفي ظل الدعوة إلى الدولة العالمية ميز الرواقيون بين نوعين من القانون، بحيث يرون أن الإنسان يعتقد بقانونين :الأول هو قانون دولة المدينة ، فهو مجرد عادات وتقاليد تختلف باختلاف المدن والدول المحلية، أما الثاني فهو قانون الدولة العالمية، فهو قانون العقل، فهو قادر أن يكون معيار تلتزم به شرائع المدن والدول المحلية وأن يعبر عن قدر متزايد من الوحدة الكامنة خلف كثرة الشرائع والعادات والتقاليد المختلفة، "فالرواقيون يميلون إلى الاعتقاد بإمكان فرض وجود نظام عالمي واحد، يعبر عنه قانون واحد"[16] . ويمكن أن يكون له فروع محلية متنوعة لا نهاية لها. لقد كان لهذا الفكر تجانس مع الأحداث السياسية ،وتلائم مع اهتمامات الإمبراطورية الرومانية.

"فكل الناس هم مواطنون في جمهورية زيوس يجب أن يعيشوا متحدين تحت قانون واحد مشترك مثل القطيع الذي يسير تحت إمرة راعي واحد"[17] فقد اعتبر أن الأفكار التي تطوحها جمهورية افلاطون ستؤدي إلى انهيار دولة المدينة بسرعة وهذا لافتقادها إلى دستور عادل يوحد أعضاء المجتمع و يخلق جو من الاستقرار.

قيم التسماح في المواطنة العالمية عند ابيكتيتوس و بانتيوس.

إن نظرة ايبكتيوس Epictète (50-138ق م) للإنسان لا يوجد فيها أي تميز مهما كان جنسه، فهو مواطن عالمي، فكل فرد ما هو إلا عنصر في المدينة الكونية، وجميع الأفراد الآخرين هم أعضاء أسرته وقد عبر عن ذلك من خلال طرحه لجملة من تساؤلات إذ يقول من هو الإنسان؟ هو عضو في المدينة في الأول الأمر هي تلك التي تتكون من آلهة ثم من أفراد، إنها صورة مصغرة عن المدينة الكونية،أو المدينة العالمية "(L'universelle).18 وعلى هذا فقد طالب الفرد أن يشبه في سلوكه بالإله، و أن يتعلم منه وأن يقلده في سلوكه وتعامله.إذ يقول في كتاب الثاني من المحادثات "إن أول الأشياء التي يجب تعلمها هي كالآتي، وهو أن هناك إله الذي يحرك بعنايته الكون ،وهذا ما لا يمكن أن نخفيه ليس فقط الإله، ذلك

---

[15] عامر حسن فياض، على عباس مراد، المرجع السابق، ص300.

[16] مصطفى النشار، المرجع السابق، ص103.

[17] Jean Brun – le stoïcisme – puf .éditions delta – France 1994 p113

[18]- أندريه كرسون، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ،تر عبد الحليم محمود ، أبوكر ذكري ، دار الشعب بيروت دط 1979، ، ص79.

أننا إذا اكتشفناه فالإنسان الذي يريد أن يكتسب رضاه يجب أن يطيعه، لذلك يجب عليه أن يحقق بقدر الإمكان تشبه به، لأن الإلوهية تقتضي الإخلاص، فيجب عليه أن يكون مخلصا لها أن يكون خيرا مثلها وكريما، أ ي يجب أن يقلد الإله"19 .

فالإنسان هو جزء من الأسرة الصغيرة التي هي الصورة المصغرة للمدينة العالمية أو الكونية، وحركة هذه المدينة خاضعة لعناية الإلهية لذلك يسودها الانسجام، فعلى الإنسان التشبه بالإله في سلوكه،إذا أراد أن يبلغ الخير ويحقق الانسجام ..

فالرواقية لا تدعو إلى الانسحاب من الحياة الاجتماعية كالأبيقورية واهتمام بالذات فقط ،بل دعت إلى ضرورة الإخلاص في تأدية الواجبات الاجتماعية اتجاه الآخر، ذلك أن هذا الآخر هو أحد أفراد المجتمع و جميع أفراده هم إخوة وفي هذا يقول ابيكتيوس في كتاب الأول من المحادثات "صحيح أنه يوجد أبوة بين الإله والإنسان ...وسقراط، حينما لم يجب أبدا عن من يسأل عن الوطن إن كان أثينا أوكورنثيا،ذلك لأنه هو موطن عالمي".20

فتعامل الأفراد فيما بينهم يجب أن لا ترسمه الحدود الجغرافية ،ولا تحدده المعتقدات والأعراف بل يجب أن يتجاوز كل هذه الضوابط التي تقيد وتمنع الأفراد من التقارب والانسجام في بينهم، حتى لا تتشنج العلاقات الاجتماعية فبدلا من أن يسود الحب والتعاون، يتولد الاستغلال والاستبعاد، الظلم، فهذا أثني وهذا أجنبي والأخر بربري أو عبد ،في حين هم أفراد بني جنس واحد، يتساوون في حق الاحترام بالكرامة الإنسان، بما أنهم حسب ابكتيوس من منبع اله زيوس حيث يقول :"إن اشتراك في أبوة إله (الله) هي التي تنبثق منها الإخوة ونتائج الأخيرة لهذا الإثبات الرواقي لا يأخذانا أبعد من احترام الحقيقي للعالم وخاصة للكرامة الإنسانية"21

فالقول" بالمواطنة العالمية أو الدولة العالمية (المواطن العالمي) إنما هي دعوة لاتحاد الأفراد ومشاركتهم في الحياة الاجتماعية ، لتزول كل الفوارق وتتطور الروابط إذ يعم التعاون والمحبة والسلام "فالحكيم ليس من يطالب بحقوقه كمواطن لمدينة أثينا ،وإنما كمواطن عالمي"22

فالمدينة عند الرواقين وعند ابيكتيوس هي مدينة الله والطبيعة مرادفة للعقل، والعقل مرادف للإله، فالمدينة الحقيقية للجنس البشري هي مدينة الله الواحدة ،أو مدينة العالمية التي تتجاوز المدن التاريخية والمعاصرة والناس جميعا متحدون كمخلوقات عاقلة في مدينة الله التي هي أيضا مدينة العقل ومدينة الطبيعة لذا يقول ابيكتيوس "جميع الأفراد هم أسرة واحدة وأخوة بالطبيعة وأبناء لزيوس zus

[19] -Épictète- Entretiens II, Joseph souilhè, Editions les belles lettres . Paris, 1949, p55.

[20] -Épictète, Entretiens. Livre I Joseph souilhè, Editions les belles, lettres, Paris, 1948, p37.

[21] -Gabriel Germain, Epictète et la spiritualité stoïcienne Editions du seuil, 1964 Paris, P109.

[22] -Jean Brun- le stoïcisme, , p61.

"23 لقد تصور ابيكتيوس "مجتمع إنساني يتجاوز أطر دولة المدينة بتجاوز العادات التي تميز بين اليونان والبربر، والأحرار، والعبيد".24 فلقد اعتبر ابيكتيوس أن مفهوم المدينة العادي ما هو إلا إيحاء عن المدينة العالمية التي تظهر في التضامن والمشاركة السياسية والقيام بالواجبات ،"وهذه المشاركة هي مرحلة نحو طريق المدينة العالمية لتحقيق الإتحاد الأفراد."25

ففي المدينة العالمية تخلق الحياة المشتركة حيث يتضامن الأفراد فيما بينهم باعتبارهم أسرة واحدة وأخوة يؤدون واجباتهم بكل إخلاص وتفان "فالناس بطبيعتهم مهيئون للاجتماع والعيش جماعة أي حياة مشتركة وهذه تفرضها ضرورة طبيعية ببناء أسرة واهتمام بالأطفال،" فهذه الواجبات تفرضها علاقات بين الناس كما تخلق روابط اجتماعية طبيعية، وهذه تمثل العناصر الأساسية لإيجاد اتحاد كوني لهذا يعتبر ايبكتيوس أن حبنا لأطفالنا نابع من ذاتنا وأساسه رابطة اجتماعية كونية".26 فالرابطة التي تحكم الأفراد طبيعية بحيث إن روح المحبة والإخاء التي تسود المدينة العالمية منبثق من قانون الطبيعة، فبخضوع جميع الأفراد للقانون الطبيعي يعم السلام والانسجام. وهكذا يلتحم الفكر الأخلاقي بالفكر السياسي عند ابيكتيتوس حيث جعل الأخلاق هي أساس السياسة أولى منها فبالتزام بقانون الطبيعي يخلق المواطن الصالح في أي مكان وليس بقانون دولة المدينة هو الذي يكونه

دعوة إلى الأخوة والمساواة عند بانتيوس Panetius

يرى اميل برهيه في مقدمة كتابه الرواقين" أن مع بانتيوس الرواقية تجددت وبلغت قمتها"27. وخاصة في يتصل بمفهوم الإنسان فقد قدم بانتيوس(189-110ق م) مفهوم ثنائي بحيث يرى" أنه يوجد في الإنسان كما في الحيوان دوافع اللامعقولة ،وبفعلها يتشارك العقل مع الطبيعة ،في مبدأ العيش على وفاق مع الطبيعة حسب نظرية زينون وكلينتاس".28 وهذه الدوافع والنوازع وان كانت الأساسية عند الإنسان إلا إنها خاضعة العقل الذي يوجهها ويضبطها لتنسجم مع الطبيعة.

وضح بانتيوس من خلال أرائه السياسية كيف تكون الروابط التي تخلقها العدالة هي التي تقدم صورة الشرعية لاجتماع الأفراد إذ إلا نتيجة ميلهم الاجتماعي وحاجتهم لمساعدة بعضهم البعض".29 فالتعاون الذي تفرضه حاجة الأفراد إلى بعضهم لبعض يخلق تكاملهم وانسجامهم وبتآخيهم يبتعدون عن

---

[23]- Espictète, Entretiens, livre1 p55.

[24]- Robert Muller, les stoïciens ; libraire philosophique ;j v paris 2006 p249

[25]- Ibid , p 242

[26]- Epictète, Entretiens, livre 2. Joseph soulhé p117.

[27] - Emle Bréhier, les stoïciens, , , (introduction, pXXIX)

[28]- Ibid (introduction PXII).

[29] -Emile Brèhier (Introduction)

إلحاقهم الضرر ببعضهم البعض. لذا فهو" يدعو إلى تجنب الوقوع في الشر الناتج عن العصبية المنافية للأخلاق الفاضلة ،فالطبيعة ترشد عقل الإنسان إلى التطلع نحو الإخوة البشر أجمعين، لأنه مواطن في الدولة الإنسانية العالمية ".30 فربط السياسة بالمثل العليا يمكن من تجسيد المدينة العالمية وإذا سادت المحبة بين البشر والتأخي وانعدم التعصب والتميز العنصري، وتم إقرار الحقوق، كل كائن بشري مهما كان جنسه أو لونه أو طبقته الاجتماعية حيث يسود التعاون بين الأفراد ولايضرر احدهم الأخر. ويكون تعاملهم بمقتضى قيم الإنسانية السامية. فعلى كل إنسان حشد كل الفضائل الطبيعية الموجودة فيه لضبط نفسه والإخلاص لواجباته ،والتضحية من اجل خدمة العامة.

ولتجسيد مبادئ المدينة العالمية ويسود احترام الأفراد بعضهم لبعض، جعل الرواقيون لبنة أساسية لتحقيق هذه الأخوة والوحدة و تتمثل في التعاطف بالتأكيد على المحبة.فما هي أبعاد هذا التعاطف وكيف يساهم بناء المدينة العالمية ؟

الإيمان بضرورة سيادة الحب في المدينة العالمية.

لقد اعتبر الرواقيون أن هناك عاطفة وثيقة تجمع كل سكان المدينة العالمية وتجعلهم متلاحمين باعتبارهم أخوة بالطبيعة "بحيث لم تهدف الطبيعة جعل الإنسان وحدة منعزلة، وإنما قصدت جعله مواطنا للمدينة العظيمة للعالم ككل، فغريزة الإيثار مفطورة فينا، بها نكون أسرة وبها نتضامن مع الجنس البشري كله، وبها يضحي الإنسان بحياته متى اقتضت الضرورة ذلك، من أجل صديقه أو مدنيته أو الجنس البشري".[31] الرباط الذي يجعل أفراد المدينة وحدة متلاحمة لا تعرف انفصام يتجلى في الحب والصداقة، فهذا الرباط هو ضروري للمدينة العالمية ،لذا اهتم الرواقيون بالحب اهتماما كبير وخصصوا له كتب .ككتاب زينون "في الحب" وكرسبيوس "فن الحب" فهم يرون أن المدينة العالمية لا تحفظ ولا تصان وحدتها بالقوة العسكرية ولا فن السياسة، وإنما بقوة الحب والصداقة بين سكانها.

فالحب هو الرباط الحافظ والموحد بين سكانها، لقد نظر زينون إلى الحب على أنه إله يحقق الصداقة والحرية والتناغم، إذ قال عنه في كتابه الجمهورية "إن الحب إله ،أنه يقوم في المدينة كناشر للأمن والآمان".[32]

لقد اعتبر الرواقيون « أن الحب هو الذي يفرض على المرء أن تكون أفعاله منسجمة مع غيره حيث يجب أن يشعر بأنه ليس الوحيد في هذا العالم ... فالحب عند الرواقيون يختلط بالأخلاق ، لذا فالمحبة الإنسانية تتخذ صورا مختلفة ."[33]

---

[30]- عمر عبد الحي، المرجع السابق، ص321.

[31] محمود مراد، المرجع السابق، ص340.

[32] محمود مراد، المرجع السابق، ص342

[33] Robert Muller ; Les Stoïciens p243-

فالهدف من تأكيد الرواقيين على دور الحب ارتباطه بالأخلاق كونه منبع نشر الوئام والصداقة الحميمة بين سكان المدينة، ، وهذا لجعل الشباب والنشء مرتبطين ببعضهم البعض بحيث يعيشو حياة متفقة مع الفضيلة. إذ تمثل الصداقة عندهم صورة راقية من صور التواصل العقلي بين البشر، لذا يجب أن تحكمها الحكمة والفضيلة، حيث يتمكن الأصدقاء من المشاركة في منظومة القيم والأخلاق بفعل توافق الكامل للعقول فالحب والصداقة طبيعتان فطريتان في الإنسان تدفعانه نحو التجمع والتآلف ،إذ يجب أن تظل هتان القوتان رباطا بين أفراد المجتمع، فهو الذي يجعله مثاليا.

و بما أن الاجتماع البشري هو أمر منسجم مع إرادة الطبيعة، فالأسرة هي جماعة بشرية طبيعية والمساواة والصداقة هي رباطها. فالتعاطف ما بين البشر يجب أن تسوده العدالة وحب الناس لبعضهم البعض "فحالة التوافق مع الطبيعة هي التي تقيم هذا التعاطف بين الناس، بناءا على وحدة الكائن الإنساني في الوجود وهي التي تكون تآخي البشر أجمعين، فلا فرق بين إنسان وآخر"[34]

"فدور الحب يتحدد في حفظ المدينة وحمايتها من أعدائها في الخارج والداخل، فهو محقق للصداقة والانسجام والحرية في المدينة العالمية ومفتاح سر كمالها"[35]

فالحب يجعل الفرد يتفانى ويخلص في أداء واجباته حيث يندفع فأدائها بإرادته ،لذا فالمدينة تقوى وتصمد أمام أي تهديد خارجي بهذه الروح المعنوية بحيث يعم سلام والانسجام بين الأفراد وتتقوى الروابط المحبة وتعاون والتكامل، إذ تذوب العداوة والنزاعات، كما يكون الإيثار منبعا للتضحية والتصدي لكل خطر خارجي يهدد أمن المدينة العالمية.

فالمدينة العالمية في نظر أهل الرواق هي مدينة مثالية تسود الأرض ككل وموقعها الكون، وسكانها الآلهة والبشر، والقانون الحاكم فيها هوا لقانون الطبيعي، والحب والصداقة هما الرباطان اللذان يؤلفان بين قلوب مواطنيها، فتلاحم أفراد المدينة العالمية وتجانسهم لا يكون إلا بالحب والصداقة.حيث تتألف قلوب الأفراد ويسود السلام وتغمرهم السعادة ويبتعدون عن الكراهية والعداوة والأنانية ،ويعمهم الانسجام والمساواة ولا تفرقهم النزاعات .

لقد حدد الرواقيون غاية الدولة العالمية المتمثل في تحقيق السعادة للفرد على أساس الاكتفاء الذاتي بتدريب الشديد للإرادة ابتغاء لتمسك بالصبر والعزيمة والإخلاص، وبنبذ اللذات والإيمان بقدرة مدبر الكون حيث تكون حياة الفرد ما هي إلا رسالة أسندها إليه الإله، لذا يجب الإخلاص في القيام بالواجب "إن الأفراد جميعا مشتركون في كل زمان ومكان، في خضوعهم للالتزامات الواجب الاجتماعي التي

[34] د.عمر عبد الحي، المرجع السابق، ص298.

[35] محمود مراد، المرجع السابق، ص346.

تجسدها واجبات الفرد نحو المجتمع الدولة"[36]. وفي هذا فهم يختلفون عن الأبيقورين الذين يدعون للانسحاب وتجنب المشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية.

- فإذا كان أبيقور يرى أن العاقل هو من لا يشارك في أمور الدولة إلا إذا كان هناك سبب قوي يرغمه إلى ذلك. يرى الرواقيون أن الرجل العاقل هو من يشارك في أمور الدولة إلا إذا كان هناك سبب يمنعه عن ذلك.

- فالدولة التي أوجب الرواقيون على كل مواطن أن يشارك في إدارة شؤونها، هي الدولة الحقيقية والتي لا تكون كذلك ،إلا عندما تقوم على أساس أخلاقي، الذي يجسد في نظرهم العدالة هو القانون الطبيعي .

الخاتمة

ففكر ة العالمية أصبحت أساسا لتأكيد على بعض المبادئ التي استحدثت معها طرح تصورات جديدة مخالفة لما كان في سابق وهذا كان نتيجة لدعوتها لتسامح و الأخوة ،و المساواة لجميع البشر، والتأكيد على الكرامة الإنسانية والاعتراف بحق الفرد في الحياة وبحقوقه الطبيعية .

فقد استطاعت هذه الفكرة أن تؤثر على القانون الروماني،وتكون مصدرا لإلهام مشرعيهم ، كما استطاعت أن تِؤثر في الدعوة المسيحية وتوجهها على أساس المحبة والرحمة، وان توحي إلى " جان جاك روسو و فلاسفة القرن الثامن عشر في فرنسا نظراتهم عن إخاء بني الإنسان، وحقوقهم الطبيعية في الحرية و المساواة."[37] "وأن تعبد الطريق للأخلاق الاجتماعية مستوحاة من محبة للإنسانية"[38].التي أصبحت في ما بعد مصدرا للدعوة عن إعلان لحقوق الإنسان في التشريعات الحديثة.

غير أن محاولة تحقيق العالمية على أرض الواقع مع توسعات الكسندر المقدوني وتوسعات الإمبراطورية رومانية فقدت قيمها الروحية وأصبحت تحمل أبعادا مادية، و اكتست دلالات وتصورات وأهداف اختلفت حسب تصورات ومذاهب الفلاسفة و تأثير ظروفهم الاجتماعية وتطوراتها سياسية وما وكبها من تغيرات اقتصادية ،لذلك تغيرت الأهداف من الدعوة لحق الإنسان من منطلق المدينة الكونية إلى غايات استعمارية مع العالمية إلى العولمة. تعتبر العولمة هي نوع من أنواع انتخاب وانتقاء المثل الإنسانية العليا في كل الخبرات الحضارية، وترقيتها لتصبح نموذجاً عالمياً يتم التعامل معه كنموذج مثالي تستهدفه المجتمعات العالمية، فتقترب منه بما تسمح به برامج الإصلاح فيها، وبقدر ما تحمله موازناتها.

المصادروالمراجع

1- أمين عثمان، الفلسفة الرواقية دار النهضة القاهرة ط2، 1959

[36] عامر حسن فياض، علي عباس مراد، المرجع السابق، ص276.

[2]- أندريه كرسون، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ،تر عبد الحليم محمود ، أبوكر ذكري ، دار الشعب بيروت دط 1979

3- فرانسوا غريغوار، المذاهب الأخلاقية الكبرى ،تر قتيبة معروفي ، منشورات عودات ، بيروت ،ط3 1984،

4-جان جاك شوفاليه، تاريخ الفكر السياسي، تر محمد عرب صاصبلا ،المؤسسة الجامعية للدراسة والنشروالتوزيع بيروت ط2 ،1933

[5]- مفيد شهاب – نقاط عامة حول حقوق الإنسان بين السيادة الوطنية والتدخل الدولي في حقوق الإنسان الثقافة العربية والنظام العربي العالمي اتحاد المحامين العرب القاهرة 1993

6- محمود مراد، دراسات في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء للدنيا والطباعة والنشر والإسكندرية، ط4، 2001،

7- مصطفى النشار – تطور الفلسفة السياسية من صولون إلى ابن خلدون،الدار المصرية السعودية ،القاهرة د ط 2005،

-8- .Emile Bréhier – les stoïciens – Editions Gallimard-nrf. De le pléiade 1962 – Paris

-9 Épictète- Entretiens II, Joseph souilhè, Editions les belles lettres . Paris, 1949,.

10- -Épictète, Entretiens. Livre I Joseph souilhè, Editions les belles, lettres, Paris, 1948,.

11- Gabriel Germain, Epictète et la spiritualité stoïcienne Editions du seuil, 1964 Paris,

12- Jean Brun – le stoïcisme – Editions delta. France 1994

13- Robert Muller, les stoïciens ; libraire philosophique ;j ν paris 2006

14-Robert Muller ; Les Stoïciens, la liberté et l'ordre du monde . Librairie philosophique j Vrin paris 2006-.